على فكرة

أمين معلوف

أحمد عدنان

أعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب عن اختيار الأديب والروائي والصحافي اللبناني أمين معلوف شخصية ثقافية للعام، والحقيقة أنني أتوجه بالشكر للجائزة التي اختارت شخصية يتشرف بها العرب جميعاً.

من حسن حظنا أن الحرب الأهلية اللبنانية دفعت معلوف للهجرة إلى فرنسا، وكان هذا الانتقال جائزة للقراء في كل مكان، بدايتها كتاب «الحروب الصليبية كما رآها العرب»، وسأقفز منه إلى بعض كتبه الأخيرة، وأعني «الهويات القاتلة» و«اختلال العالم»، في هذه الثلاثة كتب، كسرد تاريخي أو تشريح فكري وسياسي، كان هاجس أمين معلوف دائماً هو الإنسان، لذلك حين نقول إنه فرانكفوني القلم أو لبناني الجنسية فذلك من باب المجاز، لأنه إنساني بامتياز.

في ذلك الهامش الذي يلامس الشخصي والتاريخي يتفجر إبداع معلوف كبركان من سحر، كتاب «بدايات» صاغه الروائي الفاتن ترجمة لجهد الصحافي المحترف، حكاية جذور العائلة أصبحت ملحمة إنسانية وجزءاً من تاريخ سياسي واجتماعي واقتصادي.

لن أتكلم عن رواياته المشهورة، لعلها فرصة للإضاءة على البقية، «صخرة طانيوس» أرخت لحظة اصطدام لبنان بالعصر الحديث، «حدائق النور» عالجت إشكالية العلاقة بين الديني والسياسي عبر سيرة القديس ماني، و«رحلة بلداسار» تموضعت حول اسم الله الأعظم، أما «موانئ الشرق» فزاوية مغايرة لقراءة الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

شخصية معلوف وتجربته وكتابته بحد ذاتها رسالة للبنانيين، لبنان يشبه أمين معلوف وأمثاله، أما الميليشيات فهي انفجار لبنان ودماره ونهايته، الدولة أولاً والإنسان قبل الطائفة.

a.adnan@alroeya.com